عبدالفتاح علي يحيى

تنظيمات الامير محمد باشا العسكرية والادارية والاقتصادية في الامارة السورانية

القسم الأول

المقدمة:ـ

بدأ عهد جديد من التنظيم والاستقرار والتقدم في الامارة السورانية بتولي الامير محمد ـ الذي اشتهر في التاريخ بلقب «باشاى كوره» اي «الباشاالاعور» و «باشاى گەوره» اي الباشا الكبير ـ الحكم في حدود عام ١٨٩٣م، حيث ثبت سلطته في عاصمة الامارة مدينة راوندوز اولاً ثم سيطر على جميع عشائر المنطقة ـ شيروان و بلباس وخوشناو و سورجي ومامش وزهيى وبرادوست.. بان اكتسح قلاع رئاساتها الهزيلة، واخضع امارة بادينان واقتطع اجزاءً من امارتي بابان و بوتان، ونجح في توسيع سلطته، لتشمل منطقة شاسعة تمتد من سنجار غرباً الى القرى الكردية في اذربيجان الايرانية شرقاً، ومن «حصن كيفا» شمالاً الى نهاية الاراضي التابعة لمدن مخمور و الكوير والتون كوبري جنوباً، فغدا اقوى شخصية سياسية في كردستان انذاك.. وكانت له مواقف في التأثير في السيادة العثمانية و الايرانية، واصبح على حد قول مارك سايكس: «سيد البلدان الواقعة بين الحدود الشرقية للدولة العثمانية والموصل في بداية القرن التاسع عشر»[١] وغدت راوندوز بشهادة العديد من المؤرخين و الكتاب، في عهد محمد باشا الكبير مركزاً للحركة التحررية الكردية في ثلاثينات القرن الماضي، بفضل اهتمامه في دعم الزعماء الكرد الذين يريدون التخلص من السلطان العثماني والشاه الايراني، واقامته العلاقات مع محمد علي باشا والي مصر»[٢] فالامير كان يسعى الى السيطرة على كردستان، فوجه نضاله نحو مناهضة الدولة العثمانية التي كانت منطقة سوران تقع ضمن حدودها، وضد سلطة الشاه الايراني القائمة في الاراضي الكردية المجاورة له لذا أرعبت حركته وتنظيماته الدولتين ومواليهما من الامراء الكرد.. واخذت اجهزة الدولة العثمانية بالتعاون مع ايران تشنع به وتشوه سمعته وحركته وتحرض عليها، ويصيب العزاوي في تحليله احداث ذلك الزمن وفي تشخيصه بدقة اهداف وخطورة حركة امير سوران على الدولتين العثمانية و الفارسية، بقوله :ـ «**ان امير سوران ظهر ببسالة لايزال الكرد يتغنون بها، وان العثمانيين قاموا لحركته وقعدوا، ولم يكن مانسب اليه من انه عاث بالامن صواباً، وانما حذرت الدولة من توسع امارته ونجاحها في ديار الكرد وحسبوا لها خطرها عليهم، فشنعت عليه واهتمت في امر غائلته** ..»[٤]

ان اعمال الامير وتوجهاته كانت تدل على انه كان يسير الى بسط سلطانه على كردستان، والتخلص من النفوذ الاجنبي، ويؤيد هذا السجادي بقوله :ـ« **ان الامير كلف العلماء بتاسيس دائرة يستطيع بوساطتها بسط سلطانه على كردستان، وتهيئة السجلات المنظمة للدوائر الحكومية**..»[٥] ويعد محمود محمد، الامير محمد باشا: اول من حاول توحيد كردستان، وذلك بمحاولته انهاء دور الامارات الكردية الاقطاعية وازالتها، وأول ممثل لحركة البرجوازية الكردية برغم عدم نضوج الظروف وسماحها بتحقيق امانيه الشريفة.. «وفي عهده سكنت مدينة راوندوز ألفاعائلة»[٦] وتبوأت مركزاً سياسياً

واداريا واقتصادياً مهماً وصارت عاصمة لأكبر واقوى الامارات الكردية حيث لم يبق امامها للسيطرة على كرد.. كردستان الجنوبية.. سوى القضاء على الامارة البابانية في السليمانية[٨]..

وقد سعى الامير في سبيل تحقيق طموحاته الى امتلاك جيش قوي ومنظم ومالية مستقرة وضمان أمن الشعب ورفاهيته وقد شملت تنظيماته واهتماماته مايأتي:-

اولا: الجيش والسلاح

أ- تنظيم الجيش:-

كان الامير جاداً في تقوية اركان امارته وتوحيد المناطق الكردية المتفرقة تحت قيادته، وادرك انه لايستطيع الحفاظ على ثمرة انجازاته والاستمرار فيها الابتشكيل جيش قوي ومنظم بوصفه الوسيلة الوحيدة للكفاح ضد الغزاة الطامعين، لذلك ركز اهتمامه على اقامة التحصينات الدفاعية، وفضلاً عن التحصينات التي قوى فيها العاصمة راوندوز في اوائل حكمه فقد قام بتحصين جميع المناطق التي ضمها الى امارته وعلى الرغم من قصر فترة حكمه التي قضاها بالمعارك و التوسع فقد بني في عهده حوالي «١٦٠» حصناً وقلعة[٩]..في مناطق شيروان وليتان. وبرادوست. وشتنه. وسيدكان. وروست وبالكيان وخليفان ومضيق گلي علي بگ «وگومه أسبان» وقه مجووغه ودوكان وحرير والعمادية واربيل وكويسنجق وآلتون كبري ورانية... وكانت بعض هذه القلاع والحصن مدعمة من كل زاوية بابراج مدورة لها فتحات «مزاغل» خاصة للمدافع، وجميعها شيدت بالحجر والجص كما تدل عليها آثارها الباقية. وكانت الحصون و القلاع في الوقت نفسه مقراً للزعماء ممثلي الامير في حكم وادارة تلك المناطق، كما حضرت المكامن والمواقع للرجال حول المدن المهمة وعلى شواطئ وضفاف معظم الانهار، حتى في ابواب بعض المساجد الكبيرة أنشئت المكامن والمراصد للدفاع والمراقبة، وكان يشرف على جميع عمليات البناء والاعمار والتحصينات عضو مجلس الرئاسة «السرداري» المدعو «ابراهيم ماويلي».

اما بالنسبة لتنظيم وتشكيل الجيش وقيادته والبت في امور الحرب والسلم، فقد اقام الامير مجلساً عسكرياً من خمسة اعضاء برئاسة اخية «احمد بگ» الذي كان بمثابة القائد العام للجيش، وكان من ابرز اعضاء هذا المجلس «حمد الشيرواني» و «عبدالله الاكويي»[١٠] واهتم الامير بتكوين جيشه من ابناء العشائر وبهذا يعد من اوائل الذين حاولوا توحيد القبائل الكردية المتفرقة لتحويلها الى جيش نظامي تقريباً، يتمكن به من تحقيق انتصاراته، وكان الامير فطناً وذكياً وخبيراً في معرفة نفسية العشائر و التعامل معها، فقد ترك احياناً قيادة بعضها تحت امرة رؤسائها في الحرب وسمح لها ان تخيم حول رئيسها في المعسكرات، كما وفق في حل خلافات بعض العشائر، وكان لايقدم عشيرة على اخرى في التعامل اثناء الحرب ويؤيد هذا الدكتور «روص» بقوله «**في كل مساء يتناول مابين المئة والمئتي جندي عشاءهم في خيمة الباشا، متبعين في ذلك دورة خاصة تتناول العشائر جميعها**..»[١١].

وكان الامير يظهر نفسه امام الجميع زعيماً مهاباً، يقول روص :- ان الامير استقبله استقبالاً حسناً، لكنه بعث اليه بمن يعتذر منه شخصياً لعدم قيامه له في مجلسه اثناء دخوله عليه، نظراً لانه كان محاطاً باناس لم يتم اخضاعهم الا مؤخراً، ولأن الوقوف بوجودهم ينطوي على التساوي بينه وبين الباشا في نظرهم»[١٢].

ويعلق روص على هذا التصرف بقوله «قد لايكون من مصلحته ان يفعل او يعترف به امام ملأ من الناس»[١٣].

ان حسن سياسة الامير مع العشائر ورؤسائها جعله محبوباً لدى العشائر العربية ايضاً، فعشيرة طي العربية مثلاً كانت تخضع له، وكان على مايبدو محبوباً عندها، بدليل انها كانت تبعث بقطعات غير يسيرة من رجالها لجيشه، اي ان جيشه لم يكن من الكرد فقط بل كانت فيه قوات عربية ايضاً، فقد كتب روص عند مغادرته معسكر الامير في ٨ تموز ١٨٣٣ في منطقة عقرة باتجاه الموصل، انه وجد مئة فارس عربي من قبيلة «ألبو

سلمان» مستعدين لحراسته خلال المسير عبر ماتبقىٰ من ممتلكات امير راوندوز، وانه عندما اعترض علىٰ هذا العدد الكبير الذي قد يجلب له المتاعب والمشاكل ويثير حوله الشبهات عند دخوله اراضي والي الموصل، اجابه رئيس الثلة الكبيرة من الخيالة وأفهمه أن الاوامر التي تلقاها تفرض عليه ذلك، وانه لايستطيع التخلي عن أي رجل منهم..»[١٤].

ان هذا يدل علىٰ ان الامير مارس نفوذاً ادبياً علىٰ بعض العشائر خارج منطقة نفوذه ايضاً، فليس غريباً اذن ان يبلغ عدد افراد جيشه خمسين الفاً حسب تقدير الدبلوماسي والرحالة فريزر الذي كتب يقول «**والمعقول بصورة اكيدة ان مايقرب من خمسين الف رجل يقفون الآن [١٨٣٤] تحت تصرفه وتدفع للنصف الاحسن من هؤلاء اجورهم بانتظام وهم يعملون بصورة مستديمة..**»[١٥].

اما روص فيذكر انه :ـ «علم من «سلطان بگ» أحد قادة الجيش الذي زاره في اربيل، ان جيش الامير كان يتألف من خمسة عشر الىٰ عشرين الف رجل وكانوا جميعاً عاطلين في معسكرهم قرب عقرة بعد الاستيلاء علىٰ العمادية في تموز ١٨٣٣»[١٦]، ويقدر نيكيتين جيش الامير بثلاثين الف مقاتل، ويشبه الصايغ جيش امارة سوران، حين عبوره الزاب الكبير في هجومه علىٰ بادينان في ربيع عام ١٨٣٣، بالجراد لكثرته»[١٧] ويذكر الموكرياني، ان عدد الجنود الذين كانوا يقبضون الرواتب بلغ خمسة عشر الف جندي، وان هذا العدد تضاعف بعد ضم منطقة بادينان وان هذا الجيش كان يضم مختلف الرتب العسكرية ومجهزاً بالسلاح والملابس الخاصة، فكان الضباط يرتدون الملابس الكردية «جوغه رانك» ذات الخطوط البيضاء و السوداء المنسوجة من الحرير و الصوف الناعم المعروف بـ«مەرەز» (مرعز) ويضعون علىٰ رؤوسهم الطاقيات اللبادية المتدلية شبراً الىٰ الوراء، اما الجنود المشاة ـ وكان عددهم عشرين الفاً ـ فكانوا يلبسون «جوغه رانك» من الشعر الاصفر ويضعون علىٰ رؤوسهم طاقيات من اللباد الترابية اللون، وكان اسلحتهم تتكون من المسدسات والبنادق والرماح والخناجر، اما الفرسان الخيالة ـ وكان عددهم عشرة آلاف ـ فكانوا يرتدون «جوغه رانك» المخطط كالضباط، الا ان نسيجه كان من الصوف وحده وكان يتدلىٰ علىٰ سرج فرس كل واحد منهم مسدسات نوع «قرەبينا» وسيف معلق بجانبه ويحمل بندقية صغيرة من نوع «رەشوكى» وكان الامير والقادة الكبار يضعون علىٰ رؤوسهم لفة من نسيج الترمة، ويلبس الامير جلد السمور، اما القائد، فكان يلبس المعطف الصوفي المحلي العديم الاردان و البالغ حد الركبتين «بەستەك»[١٨].

ويظهر مما سبق ان الامير سخر معظم جهوده وامكاناته المالية للاغراض العسكرية لتشكيل قوة عسكرية ضخمة لتوحيد المناطق الكردية و الوقوف وجهاً لوجه امام اطماع الدولتين العثمانية والايرانية، ويؤيد هذا الدكتور كاوس قفتان بقوله :

«**ان الامير كان يريد تأسيس دولة منافسة للدولتين العثمانية والايرانية وان القوة العسكرية التي كان يمتلكها لم تكن تشبه قوة عسكرية لامارة صغيرة بل انها كانت تشبه قوة عسكرية لشبه دولة كانت تخطط للتوسع**»[١٩]..

كما يمكن ان نستنتج انه كانت هناك حاميات عسكرية وقوات دائمية للجيش تشبه المعسكرات، ومخازن تحفظ فيها الاسلحة ومعدات الحرب، وان جيش الامير لم يكن ثابتاً من حيث العدد فقد كان عرضة للزيادة والنقصان، ونستطيع ان نقول انه :ـ كان يتكون من جيش دائمي متفرغ للخدمة العسكرية يتسلم افراده رواتبهم بانتظام ويرتدون الزي العسكري، وبلغ عدد افراده مابين خمسة عشر الفاً الىٰ عشرين الفاً، وفي وقت الحروب كان يتضاعف عدده فيبلغ اكثر من خمسين الفاً، حيث ينضم اليه مايمكن ان نسميه اليوم «بالاحتياط» او «المتطوعين» الذين كانوا علىٰ استعداد للانخراط في الجيش دفاعاً عن الامارة.. وكانت تصرف لهم الرواتب طول بقائهم في الخدمة، فضلاً عن حصتهم من الغنائم، ويؤيد ماذهبنا اليه الدكتور روص عندما يقول :ـ

ان الامير كان يسرح نصف جيشه في الصيف للقيام بعملية الحصاد..»[٢٠].

كما يستنتج مما كتبه الدكتور روص ايضاً، أن قوافلاً للتموين محمولة علىٰ ظهور البغال والعربات، كانت ترافق الجيش وان الارزاق كانت توزع يومياً علىٰ الجند.

وكان الامير يكرم المستبسلين في المعارك فعند اخضاعه منطقة

شيروان مثلاً، رفع قائد الحملة «عبدالله الاكويي» الى رتبة «سرهنك» وانعم عليه بالطاقية اللبادية وشعار السرهنكية وقدم جوائز وخلعاً اخرىٰ لجنوده ..[٢١] وربما فرض الامير التجنيد الالزامي علىٰ بعض المناطق القريبة لان **عقوبة الفارين من الجندية كان قطع القدم**»[٢٢].

ولم ينس الامير ان يخلد انتصاراته المهمة علىٰ اعدائه.. فعند انتصاره علىٰ البابانيين واستيلائه علىٰ مدينتي رانيه وكويسنجق صب بهذه المناسبة مدافع جديدة عام ١٨٢٩ نقش عليها «نصر من الله وفتح قريب، الامير المنصور محمد بگ متصرف راوندوز وكويسنجق وحرير»

وكان هذا رداً علىٰ عبارة «حاكم بابان و كويسنجق وحرير..» التي كان امراء بابان يتلقبون بها..[٢٣].

وقبل ان أنهي الحديث عن الجيش وتنظيماته في امارة سوران من المفيد ان اسجل ماكتبه الدكتور روص في وصف الامير وجيشه ومعسكره وخيمته عند زيارته له قرب عقرة في الثالث من تموز عام ١٨٣٣، كتب روص يصف الامير قائلاً : **كان رجلاً وسيم المظهر محباً للخير يبلغ الخامسة والاربعين من عمره تقريباً.. ابيض البشرة تبدو فيه آثار الجدري وقد اعورت احدىٰ عينيه.. وكانت لحيته تبلغ حوالي اثنتي عشرة بوصة في الطول.. كان مرتب اللباس والهندام...كما كان يتكلم بصوت خافت ..»**[٢٤].

وكتب روص ايضاً ان : الامير دخل معه في مواضيع الحرب فتحدث عن الطبنجات والمسدسات واخرج طبنجة انكليزية قديمة ذات سبطانتين وبندقية. فكانت هذه مع سيف ومرقب «تلسكوب» وشمسية وسرير خشبي وعدد من المحافير تكون القسم الاكبر من اثاث خيمة الامير، وقرب خيمته، خيمة كبيرة واسعة تعقد فيها الاجتماعات قبل الظهر وفي الليل، وهو لايذهب الىٰ النوم مطلقاً قبل بزوغ الفجر وينام الىٰ التاسعة او العاشرة... وقبيل الصلاة بربع ساعة يعزف جوق صخاب شيئاً من الموسيقىٰ، وفي وقت الصلاة تطلق اطلاقة مدفع، ويمضي روص في وصف معسكر الامير ونظامه قائلاً :ـ انه برغم سعة معسكره لم يكن يسمع فيه ولاصوت واحد ومن الممكن ان يصل كل فرد فيه الىٰ المكان المعين في ظرف خمس دقائق فقط..

وان الحاشية تبقى حركات الامير وسكناته في سرية تامة، اذ ليس في مقدور أحد ان يحزر متىٰ تتم هذه المسيرة او تلك حتىٰ ولايعرف الجهة التي ستسير فيها الجيوش الىٰ ان يتم الركوب، ويذكر روص ايضاً انه: شاهد في معسكر الامير بعض الاسرىٰ وهم مقيدون بالحديد في اعناقهم وارجلهم..[٢٥]

ب/ صناعة الاسلحة:ـ

ان ضم الامير منطقة برادوست، الغنية بالرصاص والنحاس، الىٰ امارته اعطاه امكانية صنع الاسلحة، فأخذت قوافل البغال المحملة بالمعادن تنحدر من برادوست صوب راوندوز، ودعا الامير اليه أشهر صانعي الاسلحة الكرد انذاك وكان اولهم الاسطة «رجب»، ومن مدينة اورميه الكردية دعا الامير صانع الاسلحة المدعو «خان كليدي» وكان الامير قد أسس في حدود عام ١٨١٦ عدة معامل في منطقة «كاولوكان» قرب راوندوز لصنع الاسلحة وهيأ الوسائل اللازمة لصنع اغماد السيوف والخناجر والبنادق والمسدسات وعربات المدافع وآلات حربية اخرىٰ، وقام بما يلزم لضمان استمرار عمل هذه المعامل بشكل منظم، وعهد بها الىٰ ادارة دقيقة واهتم الأمير بسلاح المدفعية لما كان له من أثر حاسم في حروب القرن التاسع عشر، فعهد الى..اسطة رجب» صب المدافع و طلقاتها و الىٰ «خان كليدي» بالنجارة وصنع الخناجر و البنادق و المسدسات.. وكان سخياً في دفع الاموال للعاملين في معامل السلاح انهمك «اسطه رجب» وعماله سنتين يحملون الحديد والبارود ويهيئون القوالب لصب المدافع وقذائفها.. ولما انتهوا من صبها واصبحت جاهزة للاستعمال في حدود ١٨١٨م واخرجت من قوالبها، وبشر الامير بنبأ نجاح رجب، بعث اليه الامير فوراً بألف ريال ذهبي ومئة ريال لكل واحد من عماله، ولم يتريث حتى يصل اسطه رجب اليه، فسار ماشياً لأستقباله ومشى امام فرسه حتى اوصله دار الامارة وابدى له شكره وامتنانه وغمره بهدايا اخرىٰ[٢٦].. ويروي المعمرون في راوندوز ان الناس شاركوا الامير فرحته وكان يوم نجاح رجب يوماً عظيماً.. اعتقاداً منهم بان ميلاد مدافع كردية سوف يحميهم ويدرأ عنهم خطر الغزاة الى الابد..[٢٧]

صب الاسطة رجب خلال فترة حكم الامير «٢٢٢» مدفعاً من

مختلف الاحجـام نقش على قسم منهـا «عمل اسطة رجب صنع في راوندوز» و «نصر من الله وفتح قريب»... ما شاء الله صاحبه المنصور محمد بگ امير راوندوز وحرير وكويي ابن مصـطفى بگ، قنـطار ستـة، عمـل اسطة رجب سنة ١٢٤٥هـ.. وعلى قسم اخر

نقشت عبـارة «نصر من الله وفتح قريب، الامير المنصور محمد بگ متصرف راوندوز وكويسنجق وحرير..[٢٨]

كان توصل الامارة الى صنع الاسلحة وخاصة المدافع يعد شيئاً عظيمـاً انـذاك، وان دل على شي فانما يدل على طموح الامير ومثابرته وجهده في توفير المناخ الملائم للابداع ـ ويدل على بعد نظره وقناعته بانه سوف يخوض معارك طويلة وكثيرة مع اعدائه الذين سوف لايتركونه يحكم دولته بحرية، وربما كان يطمح الى اكثـر ممـا ذكـرنـاه، وإلا فما معنى شراءه الاسلحة بضعف اثمـانهـا؟ ودخوله في حديث طويل عن الحرب و الاسلحة مع الدكتـور روص.، انه كان يقدر ويعرف ان الاوربيين يملكون عصب الحياة الحديثة فسمعتهم الصناعية كانت منتشرة انذاك ولاسيمـا الانكليـز حيث صارت سمعتهم من حيث تفوقهم في مجال القوة والذكاء والصناعة شائعة في انحاء الدولة العثمانية كلها.

ثانيا/ نظام الحكم والادارة

نظم الامـير شؤون امارته بعد توسعها، ففي عهده زال نفوذ رؤوساء العشائر كافة واصبحت الحكومة مسيطرة سيطرة تامة على البلاد، ولهذا الغرض شكل مجلساً برئاسته وعضوية ستة اشخاص من المقربين اليه سمي بمجلس الرئاسة «السرداري»، وكان كل عضو فيه يتولى ادارة جانب من شؤون الامارة، وعين اخاه «رسول باشا» مسؤولاً عن اعمال المجلس وخطط اعضائه، ولهذا الغرض كان المجلس يجتمع دورياً..[٢٩].

كان ابـراهيم ماويـلي ـ نسبة الى قرية ماوليان ـ مسؤولاً عن الانشاء والتعمير كما سبق القول، فبدأ اعماله بتشييد بنايات واسعة لسكن الامير الخاص ثم سراي الحكومة «دار الامارة» ودور وقلاع في المناطق الاخرى للحكام ممثلي الامير، وبنى عدداً من المساجد اشهرها جامع واسع في وسط راوندوز، وجلب الماء من مضيق «ميگر» في جداول خاصة الى داخل المدينة وقلعتها الحصينـة.. كمـا شيد الماويلي جسوراً على نهر راوندوز وهي جسـور راوندوز وخەلكان وهواره‌كون «وبرسرين» وجوم رخين وئـومه‌رئاوا «وناويردان» ودربندي شيوه‌زور ورايات، وجسوراً اخرى على نهر روست وبالكيان وبرازگر وخليفان، وفي مدخل گلي علي بگ وقرب طاحونة «اودەل اغا» وجميعها كانت مبنية بالجص والاحجـار المكعبـة وقد شاهد بعض المهندسين الانكليز ايام الاحتلال البريطاني هذه الجسور فأستحسنوا اسلوب بنائها و تعجبـوا من كيفيـة انشاء دعائمها ومتانة احجارها و الجص المستعمل في بنائها»[٣٠]

ان شخصيـة الامير وأخلاقه تظهر في اعماله، فبسبب نشأته الدينية اتخذ رجال الدين مستشارين له، واقام مجلساً للعلماء وامرهم بجمع القوانين التي يجب اخذها بنظر الاعتبار من قبل سكان الامارة»[٣١].

واتخـذ القـرآن الكـريم دستوراً لحكمه والقانون المعمول به والمعول عليه، واعتمد على رجال الدين في تنفيذ احكامه، فمنع الدبكـة المختلطة «رەش بەلك» ووقـوف النسـاء مع الرجـال واجتماعهم سوية، كذلك منع الجلوس في المساجد لغير التعبد، وكان حريصاً على اداء صلواته الخمس في الجامع الكبير، يقول محمـود الدرة عنـه انـه: «**حقق العدالة في دائرة الشريعة الاسـلامية خلاف ادارات الولاة العثمانيين التي كانت في الحقيقـة بعيدة عن الحق ومبادئ العدالة والقانون**»[٣٢]

ويشيـد الدكتـور روص بعادات موظفي امارة سوران مقارنة بموظفي المناطق الاخرى التابعة للدولة العثمانية فيقول: **انه ما ان دخل اراضي الموصل حتى تم تجريده من كل ماكان يمكن ان يكون قد حمله معه، وانه بوهت في لحظة دخوله بطلبات «البخشيش» اما في ممتلكات راوندوز فان «البخشيش» لم يذكر فط..**[٣٣].

ويصف فريزر موظفي باشرية بغداد، بانهم كانوا فاسدين وذوي مستوى منحط وتابعين لرجل تاعس..[٣٤] **ويستنتج محمدامين زكي من دراسته لامارة سوران، أن الادارة العامة في حكـومـة راونـدوز كانت ارقى واقرب الى الانصاف من الادارة في حكم بغداد من كل الوجوه..**[٣٥].

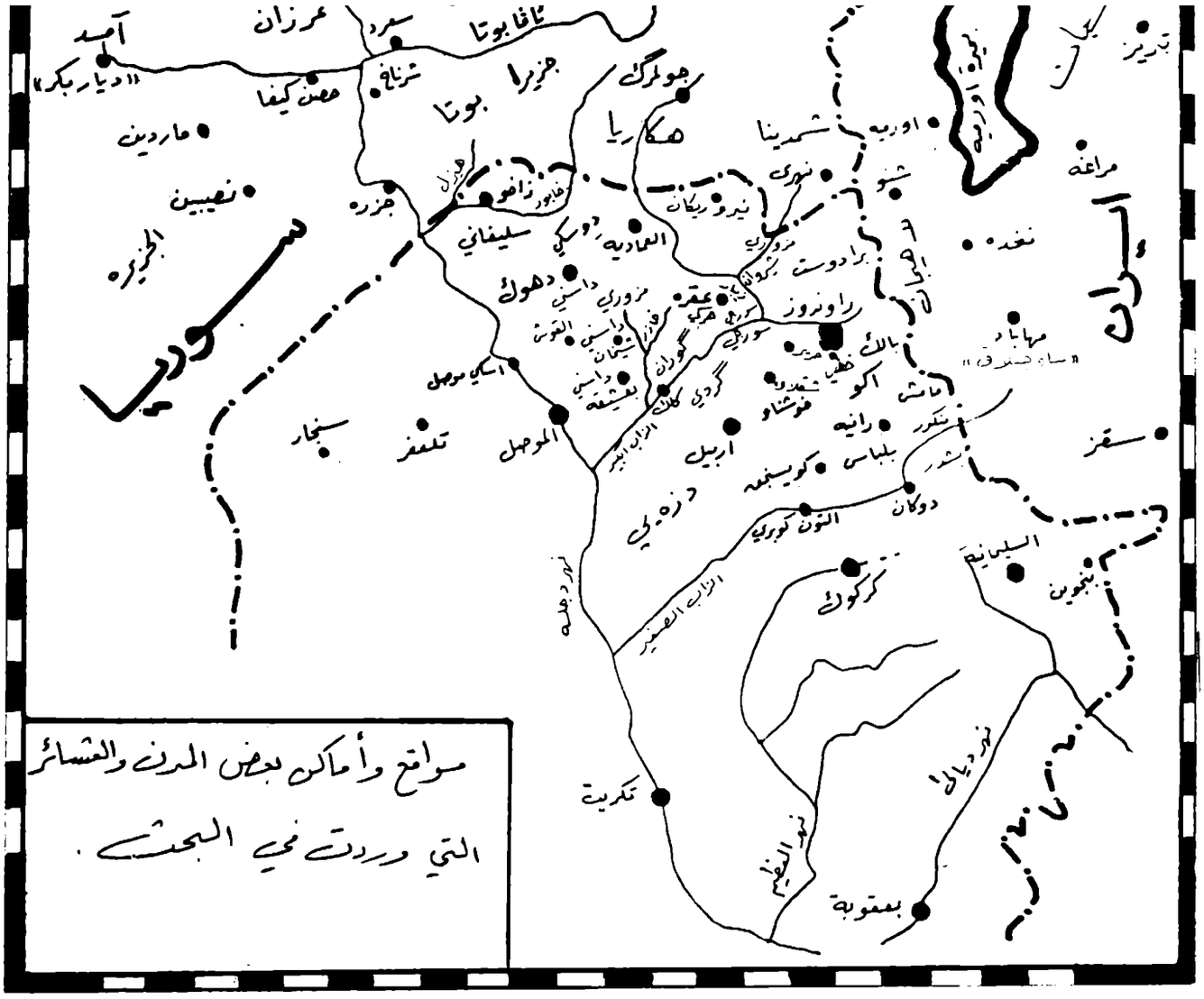

ويذكر المؤرخون ان بلاط الامير كان يعمل بصورة مستمرة وابوابه مفتوحة للمراجعين والزائرين واصحاب الشكاوى، ويدخل عليه افراد رعيته بدون حاجب ولم يكن هناك من يقود الناس الى حضرته، وفي المساء كان ستة او ثمانية من القرويين يتناولون العشاء في بيته مع عدد من المحاربين القدماء من اصدقاء شبابه..[٣٦].

ثالثا/ الامن والنظام

لقد اجرى الدكتور روص موازنات في كل ناحية من النواحي بين حكومة «علي رضا باشا» في بغداد وحكومة الامير في راوندوز، وهو يعطي الافضلية للاخير ويشير الى أحاديث الخيانة التي كان يصرح بها علانية بالنسبة لعلي رضا، بينما كان الاطراء والثناء على الامير يلهج بها الجميع بصراحة..[٣٧]. فادارته لم يكن لها مثيل في ذلك الزمان من جهة المحافظة على الامن ونشر السلام وتحقيق العدالة في نطاق الشريعة الاسلامية، وكانت ارقى واقرب الى الانصاف قياساً بالفوضى والارتباك السائدين في العراق انذاك..[٣٨].

لقد كان الامير على جانب عظيم من النباهة وسداد الرأي وقوة العزيمة وسعة الحيلة، مما جعله حاكماً مهاباً محترماً نافذ الكلمة، استطاع ان يحدث تغييراً اخلاقياً في البلاد التي كان يسيطر عليها بسلطته وجيشه، فلم تكن هناك رحمة في عدالته فقد كانت قوانينه صارمة استطاع بها الهيمنة على اكثر الناس تمرداً وتململاً من العشائر الشرسة، وان يجعل اقاليمه خاضعة خضوعاً مطلقاً وان يسودها نظام حسن جيد..[٣٩]. بينما كانت الفوضى سائدة في السابق بشكل تام الى درجة ان المرء كان لايأمن على حياته اذا كانت في يده بيضة على حد قول الميجرفردريك ميلنكن..[٤٠].

فلمعرفة اوضاع امارته والاطلاع على مايجري فيها استعان الامير برجال الدين وطلاب العلوم الدينية الذين كانوا يجوبون ارجاء كردستان طلباً للعلم في مساجدها، وبالباعة المتجولين وبعشيرة «دوم» الرحالة وكل الاصناف التي كانت تتردد على المدن والريف بحكم معيشتها ومهنتها، فكان هؤلاء

جميعاً ينقلون له كل مايحدث في القرى والمدن ويخبرونه بالغادين والرائحين وكان بعضهم يتصل به مباشرة، وقد خصص لهم - لنقلة الاخبار - رواتب كافية، ويؤيد ماسبق الرحالة فريزر عندما يقول:- **انه أسس مملكة حصينة بحيث يحتاج كل داخل اليها جواز سفر او اذن... وبخاصة الاجانب والسواح الذين كان الامير لايثق بهم..**[٤١]. كان هذا في الوقت الذي كان السائح الاوربي محترماً جداً في ارجاء الدولة العثمانية، وكلمة «انكليز» كانت كلمة سحرية ومعادلة لعبارة «افتح ياسمسم» وكانت الحكومة العثمانية تفضل اتخاذ احتياطات ملموسة لسلامة المسافر و الدبلوماسي الاوربي في كردستان، لانها ستكون مسؤولة عنه اذا حدث له شيء، فكان السواح الاوربيون يدخلون المدن العثمانية بابهة وفخفخة..[٤٢]. **يظهر مما سبق ان الامير محمد لم يكن يجهل اهداف السواح والرحالة الاجانب الحقيقة وارتباطاتهم السياسية ونشاطاتهم التجسسية لذا كان لايثق بهم ولايسمح لهم بالطواف في بلاده، حتى انه لم يسمح للدكتور روص الذي جاء من بغداد الى راوندوز في ايار ١٨٣٣ لمعالجة عيني والد الامير، بزيارة راوندوز ولا التجوال الكثير في المنطقة..**[٤٣]. وهذا يفسر لنا عدم زيارة او وصول أي سائح اوربي الى امارة سوران طيلة فترة حكم الامير.

ويقول فريزر: ومع هذا كان لايقابل السواح بالعنف في الامارة حرصاً على سمعة الامير الطيبة، ويضيف قائلاً: ان حسد الامير كان لا يمتد إلا الى الغرباء الذين يسيحون في البلاد من دون شغل يتضح له: فالتجار وسكان البلاد المجاورة لايحتاجون الى جواز سفر في ممتلكاته وهم احرار في رواحهم وغدوهم، ولكن الاشخاص القادمين من مسافة بعيدة وخاصة من بلاد اظهرت له شيئاً من العداء في يوم من الايام لابد ان يتعرضوا للتوقيف أو الحبس كجواسيس..[٤٤].

ونرى ان الدبلوماسي فريزر يتحامل احياناً على امير سوران، لانه كان تواقاً لرؤيته و التعرف عليه، لكنه كان يخاف دخول امارته من دون اذن بدليل قوله: **ان شخصية هذا الامير العجيب والتقدم السريع الذي احرزه في السلطة والسطوة خلال السنوات الخمس او الست الاخيرة مع التبدل الاخلاقي الذي كان من الممكن ان يحدثه في هذا الجزء من آسيا، قد جعلت من المحتم علي ان اراه واتعرف عليه لأتبين مقدار الصحة المنطوية في الروايات التي تروى عنه..**[٤٥].

وفي تبرير استفسر فريزر من المسؤولين الايرانيين عما سيحل به فيما لو دخل اراضي الامير من دون الحصول على رخصة مسبقة منه، فجاءه الجواب على استفساره : «**ان الاقدام على محاولة مثل هذه، يعد غاية في البطش وعدم التبصر لانه رجل سيء التفكير وقد يتصورني جاسوساً فيسيء معاملتي، وخاصة لانني سأدخل الى ممتلكاته من تبريز..**»[٤٦]. وحينما ابدى فريزر اصراراً في معرفة المعاملة السيئة التي يمكن ان يعامل بها قالوا له: ستحجز في مكان منيع حتى يعرف الامير مايريده منك، وبعد ذلك تطرد الى خارج البلاد بطريقة لايتسنى لك رؤية شيء منها..[٤٧]، وعندما وصل فريزر في تشرين الاول ١٨٣٤ الى مدينة «شنو» اراد ان يبعث للأمير رسالة يعرفه فيها على نفسه وطبيعة عمله ليحصل على الموافقة في دخول اراضي امارة سوران، لكنه أخبر هناك، ان عملية الحصول على الموافقة تستغرق اكثر من شهر، لان الامير كان خارج راوندوز وعلى بعد عشرة ايام مشغولاً ومنهمكاً بتنفيذ الخطة التي وضعها لفتوحاته، وهذا التأخير كان لايسمح به وقت فريزر، لذا نراه يقول: **كانت هناك اسباب كافية تعيقني من وضع حريتي وحياتي في موضع التهلكة بالدخول الى بلاد المير من دون الحصول على الرخصة اللازمة منه.. فاكتفيت بالحصول على أحسن المعلومات التى تمكنت من التقاطها عن هذا الرجل العجيب..**[٤٨].

لقد سن الامير قوانين كانت كفيلة بالقضاء على النهب والسلب واللصوصية وفرسان العصابات و الهيمنة التامة على البلاد، يؤيد هذا ماكتبه فريزر بهذا الصدد قائلاً:-لكن الجزء المهم من القصة كلها هو التغيير الاخلاقي الكبير الذي حصل في البلاد التي اخضعها لحكمه.. فان البلاد اصبحت خالية من اية سرقة او سارق فقد قضى على صنعة اللصوصية من اصلها بعملية بتارة.. سمل العيون وقطع اليد ثم الموت اذا كرر اللص فعلته.. او عقوبات اشد صرامة من هذه قد تفرض في بعض الاحيان في سبيل العبرة للأخرين.. فليس هناك رحمة في عدالته وقوانينه

واحكامه لا استئناف لها ولا تمييز..[٤٩]، ويذكر روص، ان الامير كان لايتورع في سفك الدماء لكنه كان غير ميال الى ان يقتل الناس بطيش او تهور ومن دون سبب[٥٠].

ويعلق فريزر على عدالة الامير واعماله فيقول: مع انه فطن بعيد النظر فانه حسود ومرتاب للغاية وهو على تشبعه بفكرة العدالة الحقة التي لاتعرف المحاباة كان لايتردد في اراقة الدماء عند اللزوم وتسخير مبادئه للحصول على مايريد..[٥١].

ان الاجراءات التي اتخذها الامير من اجل سيادة القانون والأمن كانت صارمة وقاسية تستدعيها الظروف السائدة، حيث العشائر القوية الشكيمة الشرسة، ويؤيد هذا فريزر قائلاً: انه من حسن الحظ ان تنشأ في هذه المنطقة قوة مرهوبة الجانب تستطيع على ما فيها من خشونة ان تمارس تأثيراً مطواعاً على هؤلاء النهابين الشرسين وتجبرهم على الخضوع التام الضروري..[٥٢].

ويظهر مما سبق ان الامير لم يكتف بالعقوبات الشرعية التي جاء بها الدين الاسلامي، بل احدث عقوبات جديدة طبقها ليتمكن من ضبط الامور، وكانت قرارات المحاكم وتنفيذها تتم بسرعة، وكان منفذو الاحكام رجالاً قساة لاتعرف الرحمة طريقاً الى قلوبهم، اشتهر منهم المدعو «خسن مهلوك» الذي عرف بلقب «أمير الغضب» وكان هذا لايتردد حتى في تنفيذ الاحكام القاسية باخوة واعمام الامير نفسه..[٥٣].

كان للاجراءات الصارمة التي ذكرناها، وقع شديد على السكان بحيث صار كل من في البلاد الخاضعة لحكم الامير وسيطرته لايمس حتى كيس الذهب اذا وجده في الطريق خوفاً من ان يكون رجال الامير يراقبونه من وراء الاشجار و الصخور او يختبئون قرب «الكيس» وانما يخبر مختار القرية القريبة من الموقع، هذا بدوره يكون من واجبه ان يبعث من يحضره له فيحفظ عنده حتى يتم تسليمه الى صاحبه الشرعي على ان يخبر الامير نفسه بذلك في الوقت نفسه ويقول فريزر: انه اصبح من النادر ان يسمع شئ عن السرقة واللصوصية والاعتداء ولايغلق باب من الابواب في الليل مطلقاً..[٥٤].

ويذكر فردريك ميلنگن انه: **في عهد الامير كان المرء لايخاف من التجوال ويديه مملؤة بالذهب، وقبله كانوا يقدمون على ذبح المرء اذا وجدوا بيضة في يده..[٥٥].**

ان هذا الوضع الذي احدثه الامير محمد باشا الكبير بقوانينه واعماله ادى الى ان يكون أسمه محوراً للحكايات والى انتشار الكثير من القصص الرومانتيكية عن عدالته وصرامته وذكائه وفراسته وقسوته في سبيل توطيد الامن واقرار النظام، مما ادى الى زيادة شهرته في كردستان، وان هذه القصص وان كانت بعيدة عن الواقع ويظهر ان نقلة الاخبار كانوا يختلقونها ويبثونها لغايات أمنية واعلامية، ولكن مجرد روايتها وانتشارها كان يكفي لغرض الطاعة والاحترام على السكان والاتباع، كما انها تدل على التأثير الكبير والمهم الذي احدثه الامير والذي يجب ان ينظر في ضوئه على اعمال هذا الرجل العجيب!![٥٦].

المصادر والمراجع والهوامش

١ـ احمد عثمان ابوبكر:ـ اكراد الملي وابراهيم باشا (بغداد ١٩٧٣) ص ٣٢.

٢ـ للتفاصيل حول العلاقة بين امير سوران ومحمد علي باشا انظر:ـ
عبدالفتاح علي يحيى، حقيقة الاتصالات والمراسلات بين محمد علي باشا وامير سوران، مجلة كاروان، العدد ٣٧ ، ١٩٨٥، (القسم العربي).

٣ـ الميجرسون :ـ رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان، ترجمة فواد جميل، جـ[١](بغداد، ١٩٧١) ص ١٤٨، كذلك انظر ن . آ . خالفين:ـ الصراع على كردستان «المسألة الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر «ترجمة د. احمد عثمان ابوبكر (بغداد ، ١٩٦٩) ص ٤٩ ـ ٥٠.
عبدالعزيز سليمان نوار:ـ تاريخ العراق الحديث،(القاهرة،١٩٦٨)، ص١٩٥ جليلي جليل:ـ اكراد الامبراطورية العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر، باللغة الروسية ،(موسكو، ١٩٧٢)، وقد ترجم د. عبدالجبار قادر غفور مشكورا مايتعلق بالموضوع الى اللغة العربية، والجدير بالذكر ان الدكتور كاوس قفتان قام بترجمة هذا الكتاب الى اللغة الكردية عام ١٩٨٧ والفصل الرابع و الخامس منه خاص بالامير محمد باشا الكبير ص ١٣٣ـ٢٠٣.

٤ـ عباس العزاوي:ـ تاريخ العراق بين احتلالين جـ[٧]ص ٢٥ ـ ٣٤، وعشائر العراق، جـ[٢](بغداد ١٩٤٧) ص ١٥٧.

٥ـ علاء الدين سجادي: شۆرشەكانى كورد وە كوردو كۆمارى عيراق (الثورات الكردية و الكرد و الجمهورية العراقية) ، (بغداد ١٩٥٩) ص٦٦.

٦ـ محمود احمد محمد: مكانة امير راوندوز الكبير، مجلة هيوا، العدد ٤ السنة الاولى ١٩٥٧ ص ٦ـ٩ «باللغة الكردية».

٧ـ يذكر الدكتور روص الذي زار منطقة راوندوز في ايار ١٨٣٣ ان مدينة راوندوز كانت تتالف من الفي دار، انظر جيمس بيلي.
فريزر:ـ رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤، ترجمة جعفر الخياط (بغداد ١٩٦٤) ص ١٦، واستناداً على قول روص، نستطيع ان نقدر نفوس مدينة راوندوز في عهد الامير محمد

باكثر من عشرة الاف نسمة ويدل هذا على نمو المدينة واتساعها، اذا علمنا ان نفوس بغداد في عام ١٨٣١ كان عشرين الف نسمة و نفوس عمان عاصمة الاردن في عام ١٨٨٠ كان الف نسمة و السليمانية عام ١٨٣٤ خمسة الاف نسمة.

٨ـ عبدالعزيز سليمان نوار، المصدر السابق ص ١٠٢ كذلك انظر محمود الدره، القضية الكردية، ط٢ (بيروت ١٩٦٦)ص ٨٦.

٩ـ طاهر احمد حويزي: ميژووى كۆيه «تاريخ كويسنجق»جـ٢(بغداد ١٩٨٤)، ص ٩١ـ٩٣.

١٠ـ حسين حزني المكرياني :ـ موجز تاريخ امراء سوران، ترجمة محمد الملا عبدالكريم (بغداد) ص ٤٠ـ٤١.

١١ـ فريزر/ ٢٤.

● الدكتور روص :ـ طبيب المقيمية البريطانية في بغداد، وافق المقيم البريطاني تايلور بناءً على التماس الامير محمد، ان يسافر الى راوندوز لمعالجة عيني والد الامير الذي كان قد اصيب بالعمى فسافر روص في ايار ١٨٣٣ برفقة «بايزيدبگ» عم الامير الى راوندوز عن طريق بغداد ـ كركوك ـ اربيل وعاش بضعة اشهر في الامارة وهو الاوربي الوحيد الذي تمكن من رؤية الامير والكتابة عنه ويعد ماكتبه مصدراً اصيلاً.

١٢ـ فريزر، ص ٢٣.

١٣ـ المصدر نفسه ص ٢٣.

١٤ـ المصدر نفسه ص ٢٣ ـ ٢٥، كذلك انظر نوار ص ١٠٢.

١٥ـ فريزر: ص ٢٠ ـ ٢٥، كان مجموع العساكر الدائمة و التي كانت لها مرتباتها المنتظمة في عهد داود باشا والي بغداد المعاصر لأمير سوران، اثناعشر الف وخمسمائة جندي.

جيمس بيلي فريزر :ـ ولد جيمس بيلي فريزر عام ١٧٨٣ في انفرنيس باسكوتلاندا وتوفي في كانون الثاني سنة ١٨٥٦ في ربليك، وهو سائح ومؤلف ذهب الى الهند وارتاد جبال الهملايا وحينما عاد الى لندن عين لمرافقة الاميرين الايرانيين اللذين كانا منفيين في انكلترا. رضا قلي مرزا ونجفي قلي ميرزا. لانه كان ملماً بالفارسية، ثم اوفد الى تركيه في مهمة دبلوماسية ودخل العراق من السليمانية ـ ومن مؤلفاته «القزلباش» ورحلة شتوية الى ايران ويعد ماكتبه عن امير سوران مصدراً اصيلاً ايضاً.

١٦ـ فريزر، ص ٢١ ـ ٢٤.

١٧ـ باسيل نيكتين :ـ الاكراد.. بيروت، ترجمة دار الروائع ص ١٧١، وسليمان الصايغ :ـ تاريخ الموصل جـ١ (بيروت ١٩٢٨)، ص ٣٠٦ ـ ٣١٠ كذلك انظر صديق الدملوجي :ـ امارة بهدينان الكردية، (الموصل، ١٩٥٢)، ص ٤٥.

١٨ـ المكرياني ص ٤٠ ـ ٤١.

١٩ـ كاوس قفتان :ـ دراسات في تاريخ بابان وسوران وبوتان (بغداد ١٩٨٥)، ص ٤٧ ـ ٤٨ «باللغة الكردية» (چەندلێكۆلینه وه یەك له میژووی بابان.. سوران...بۆتان).

٢٠ـ فريزر:ـ ص ٢٤.

٢١ـ المكرياني :ـ ص ٣٨ ـ ٣٩.

٢٢ـ فريزر، ص ٢١.

٢٣ـ المكرياني، ص ٥١.

٢٤ـ فريزر: ص ٢٣.

٢٥ـ المصدر نفسه ص ٢١ ـ ٢٤.

٢٦ـ المكرياني / ص ٤٠ ـ ٤٤، والجدير بالذكر ان الحاكم السياسي البريطاني في اربيل «١٩١٨ـ١٩٢٠» النقيب دبليو .آر . هي. كان قد زار منطقة «كاولوكان» وذكر في مؤلفة «سنتان في كردستان» ان المنطقة تغطيها بقايا مصانع.

٢٧ـ ان الايام و المقادير دفعت بمدافع اسطة رجب الى الانهار وطمرها التراب، وعندما كان السيد طه الشمزيني قائمقاماً لرواندوز عام ١٩٢٦ ، عثر على ثلاثة مدافع كانت قد القيت ايام العثمانيين في نهر راوندوز وبعد ان انتشلها ونظفها واعاد تصليحها نصبها في محلة القلعة امام السراي، وتم نقل بعض المدافع الى متحف الاسلحة في بغداد ومازالت الى اليوم تعد رمزاً يشير الى قوة تلك الا مارة وعبقرية الأوسطه رجب الذي توفي عام ١٨٥٣م ومازال احفاده باقيين الى اليوم.

انظر ص . ب . :ـ رجب الراوندوزي، جريدة العراق، العدد ٢٩٦، في ١٩٧٧/٢/١٤.

٢٨ـ المكرياني، /ص ٥١ ؛ انور المائي الاكراد في بهدينان. (الموصل، ١٩٦٠)، ص ١٧٥، وص . ب . المرجع السابق.

٢٩ـ جليلي جليل:ـ /ص ٨٨.

٣٠ـ المكرياني:ـ /ص ٤٢ ـ ٤٣ ، كذلك انظر اى، ام. هاملتون:ـ طريق في كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي، (بغداد، ١٩٧١) /ص ٩١ ـ ٩٢، ١٨١.

٣١ـ جليلي جليل:ـ /ص ٨٦.

٣٢ـ محمود الدرة:ـ المرجع السابق /ص ٨٦.

٣٣ـ فريزر:ـ ص ٢٥ ـ ٢٦.

٣٤ـ المصدر نفسه/ ص ٨٧.

٣٥ـ محمد امين زكي :ـ تاريخ الدول والامارات الكردية ص ٤١١

٣٦ـ فريزر/ ص ١٧: المكرياني/ ص ٢٦: وجليلي جليل/ ص ٨٢.

٣٧ـ فريزر ص ٢٥

٣٨ـ ستيفن همسلي لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ط ٥، بغداد، ٣٤٣.

٣٩ـ الميجر سون:ـ المصدر السابق ص ١٤٨ ـ ١٤٩

٤٠ـ قفتان:ـ ص ٤٧

٤١ـ فريزر، ص ١٤ ـ ١٦: المكرياني ص ٢٨ ـ ٢٩. ومحمود احمد محمد المرد السابق.

٤٢ـ دبليو. أى. ويگرام:ـ مهد البشرية الحياة في شرق كردستان ترجمة جرجب فتح الا المحامي (بغداد، ١٩٧١)، ص ٥٢،٩٢.

٤٣ـ فريزر، المصدر السابق ص ١٤ ـ ١٦.

٤٤ـ المصدر نفسه/ ص ٢٣ ـ ٢٩.

٤٥ـ المصدر نفسه/ ص ٢٧

٤٦ـ المصدر نفسه/ ص ٢٦

٤٧ـ المصدر نفسه/ ص ٢٦ ـ ٢٨.

٤٨ـ المصدر نفسه/ ص ٢٦ ـ ٢٨.

٤٩ـ المصدر نفسه/ ص ١٠ ـ ١١.

٥٠ـ المصدر نفسه/ ص ٢٦

٥١ـ المصدر نفسه/ ص ٢٥ ـ ٢٦

٥٢ـ المصدر نفسه/ ص ١٠ ـ ١١

٥٣ـ المكرياني، ص ٣٤.

٥٤ـ قفتان،/ ص ٤٧، فريزر ص ١٢ ـ ١٣

٥٥ـ قفتا ص ٤٧

٥٦ـ سوف أحاول نشر القصص والحكايات التي تروى عن ذكاء وفراسة وعدالة الامير محمد باشا في مقال خاص.